أن إعادة إنتاج هذا الصراع ليست هي الأساس في الرواية. إن ما هو أساسي هو الكيفية التي يتم بها تجسيد الصراع الواقعي والإديولوجي، والكلام عن الكيفية يؤدي حتماً إلى الكلام عن موقف الكاتب، ولكن «باختين» يرفض الكلام عن موقف الكاتب أو هو يعتبر - على الأصح - أن الموقف الجوهري للكاتب هو الحياد التام(*).

وبعد هذه الرحلة مع «باختين» نستطيع أن نجيب عن التساؤل الأول المتعلق بالأسباب التي تدعو إلى إدماج مفهوم الحوارية - على الرغم من أهميته - ضمن مرحلة الفهم عند غولدمان، فما دُمنا توصلنا إلى معرفة أن الفكر الباختيني منحصر في تحديد طبيعة الرواية في ذاتها، وتحديد الوسائل المنحصرة في مفهوم الرواية، وجميع المفاهيم القريبة منه، وما دمنا نراه لا ينتقل أبداً إلى مستوى الحديث عن وظيفة الرواية، فقد كان من الطبيعي إدراج الحوارية باعتبارها أداة - وأداة فحسب - للتحليل ضمن مستوى الفهم الغولدماني، لأن هذا المستوى نفسه خاص بتحليل البنية لا بتفسيرها.

ولقد أكدَّتُ سابقاً أن «غولدمان» كان لديه نقص كبير في مسألة تحليل البنية الداخلية للعمل الروائي، وفي وضع الأدوات الإجرائية للقيام بهذه المهمة. لهذا كان من الضروري أن أعتبر ما جاء به «باختين» مكملاً فقط - في ضوء ما شرحته سابقاً - لجانب الفهم عند «غولدمان». كما أن «باختين» في هذا الجانب[84] ليس مؤسساً لنظرية «تتجاوز» النظرية الغولدمانية على الإطلاق، ولكنه يكمل فقط جانباً واحداً منها.

ولهذا أستطيع القول - إضافة إلى ما سبق - إن لفكر «باختين» أهمية محدودة على الرغم من كل الإنجازات التي قام بها في مجال تحليل البنية الروائية، هذا فضلاً عن أن آراءه حول الرواية تستند في معظمها إلى نموذج أساسي واحد هو مؤلفات: «دوستويفسكي»، وهي مؤلفات لا تعكس إلا شكلاً واحداً من أشكال الرواية، وهو الرواية «الديالوجية» Roman dialogique في حين أن الرواية المنولوجية التي تعبر بشكل مباشر عن صوت الكاتب يستبعدها «باختين» من اهتمامه، لذلك، ففي رأيي يصعب الحديث مثلاً عن نظرية الرواية عند «باختين»، بل أرى أن الأمر ينبغي أن يقتصر على الحديث عن آراء «باختين» في الرواية فقط، وهي آراء عميقة لا شك في ذلك.

وأرى أيضاً أن الرواية الديالوجية لا تُلْغي أبداً صوت الكاتب، ولكنها فقط تواريه باتخاذ

(*) ان الحياد من منظور اديولوجي هو أيضاً موقف اديولوجي. إلا أنه عندما يكون في اطار فني ابداعي يكون غالباً معبراً عن حيرة معرفية وانسانية مثيرة للمشاعر.

(84) وعلى كل حال فإن هذا الجانب هو الذي يشكل صلب الفكر الباختيني، فالحوارية تكاد تفسر مجموع آرائه في الرواية.